

﴿ كان ياما كان ﴾

٥

ثم انصرفت السيارة واضمة طول العمر في صندوقها * فمرت بالبيضاء
في طريقها * فقالت له هل انت في جوع * فقال نعم وانه لجوع ديقوع
دهقوع * وكان في يدها نموزج بضادتها * فنفتحته به لاساعتها * فحسبه
طاماما * فالتهمه التهاما * ومن ذلك الحين * صار البيضاء يعيش نلاثمائة سنين *
وفي أثر ذلك جاءت السيارة الخامسة لتبيع الشرف والفخر * والكمال
ورفعة القدر * فسألها الناس عن الثمن * فقالت هو خدمة الوطن * والقيام
بالاعمال المهمة * التي ترثي بها الامة * او دفاع العدو عن البلاد * وتخليصها
من ذل الاستبداد او الاستعباد * او اكتشاف حقيقة علمية * او اختراع
آلة صناعية * فقالوا لها ان الشرف والكمال * يشتري عندنا بالمال * لانه اما
رتبة او وسام * او منصب من مناصب الحكام * ولا يتوقف شيء من ذلك *
على سلوك تلك المسالك * التي تعود بالاسعاد * على الامة والبلاد * فقالت
السيارة ماسمي الوسام بهذا الاسم * الا لانه علامة ووسم * على اعمال
عظيمة * يقوم بها اصحاب العزيمة * ولو كان الشرف في التحلي بالمعادن
والجواهر * او التزين باللبوس الفاخر * لكانت الغنيات من ربوات الجبال *
افضل واشرف من عظماء الرجال * كالفلاسفة الحكماء * والعلماء والصلحاء *
ولتسنى لبعض الاغنياء المترفين * ان يكون اعلى شرفا من الملوك الفاتحين *
بل ومن النبيين والمرسلين * وأما الالقاب الشريفة * التي يتباهت عليها
ارباب العقول السخيفة * كصاحب السماحة والسيادة * أو صاحب الدولة
او السعادة * فهي كلام اذا لم يطابق الواقع * بان يكون اصحابها يتابع

المصالح والمنافع * فهي على كونها عرضاً يتلاشى في الهواء * جذيرة بان
تدل على السخرية والاستهزاء * كوصف النذل الجبان * بأوصاف الشجعان *
وكاطلاق القاب اكابر العلماء * على سفلة الجهلاء * فقالوا لها ان الشرف
والمجد * ما قبول صاحبه بالتعظيم والحمد * ولا يشترط عندنا ان يطابق مدحه
الواقع * ولا ان يكون مظهرًا للمنافع * فخير للمرء ان يؤذى فيكرم ويهان *
من ان ينفخ فيؤذى ويهان * فقالت اما وقد فدت هكذا الطباع * وتغيرت
كما ذكرتم الاوضاع * فقد بطل الدليل والمدلول * وظهرت العلة والمعلول *
وتبين انه لم يبق من شرف لهذه الوسامات * ولا لأكسية التشريفات *
بل ربما دلت على خسة ذويها * وسخافة رأي الراغبين فيها * وارى من
الفضيلة التناهي عنها * وتطهير صندوقي منها * ثم ألقها وتخلت * واذنت لربها
وولت * فهافت لالتقاطها الاشرار * فهافت الفراش على النار * فكان
الشرف بهذه الاشياء * من نصيب هؤلاء * وما اصاب بعض الكرام * من
رتبة اووسام * فاعما كان بالمصادفة والاتفاق * لالكونه من اهل الاستحقاق *

﴿ استهاض همم ﴾

(١٤)

ان ما ذكرنا من حركة خواطر المسلمين وتاجي ارواحهم في اصلاح شؤونهم
لا بد ان يعقبه انصلاص عزائمهم وتحفز همهم للوثوب فيندفعون وراء الاعمال اندفاع
الليل المنهمر . تتحاور علماءؤهم في شأن العلوم الاسلامية الدينية واللغوية وتقيحها
وميز كل علم عن آخر ووضع تأليف جديدة سهلة المأخذ خالية عن الركافة والتعقيد في
كل فن مرتبة على حسب مقدرة الطالاب ونيس مالا سلافا من الآثار والتأليف النفيسة
التي اودع فيها طرائق السلف الصالح واعمالهم واخلاقهم وآدابهم ومشاربهم ونشرها بين